﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ [الأنعام: 54]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

القَصدُ إلى رَدِّ الاعتبارِ بعد النّهيِ عن طَرْدِ المستضعَفين

بعد أن نهى سبحانه نبيَّه ﷺ عن طرد المستضعَفين من حضرته، استمالةً للكبراء من قومه، في قوله قبْلُ: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الأنعام: 52]، أمَره بمقابلتهم بالإكرام، والإعظام، والتّبجيل، والاحترام، فقال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾: (سلم) السَّلامُ: السَّلامَةُ والبراءةُ منَ العيوب، والعاهة، والأذى[2]، ومعنى السّلام عليكم: أمّنكم منَ العذاب في الدّنيا والآخرة[3]، وهو كلمةٌ للأمان قالَتها العربُ عند لقاء المرء بغيره دلالةً على أنّه مُسالمٌ لا محاربٌ؛ ليأمنَ أحدُهما الآخر[4].

2) ﴿كَتَبَ﴾: (كتب) يدلُّ على الإثبات والإيجاب والفرض. الكتاب: الفَرضُ والحُكمُ والقَدَرُ[5]، وذلك أنّ الشّيءَ إذا أُريد توكيدُ وجوبِه عُبِّر عنه بالكتابة، قال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: 21][6]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾؛ أي: أوجبَها[7].

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 258، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/339، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 7/138.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلم)، والجوهريّ، الصّحاح: (سلم).
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/297، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/527.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/257.
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (كتب).
(6) الرّاغب، المفردات: (كتب).
(7) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/297، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/528.

3) ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: (جهل) أصلٌ يدلّ على خلاف العلم[1]، والجهالةُ: أن تفعل فعلًا بخلاف ما حقُّه أن يُفعَل[2]، ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ [النّساء: 17]؛ أي: عملَ سوءًا عن حماقةٍ مِن نفسِه وسفاهةٍ[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يقول الله جلّ شأنُه لنبيّه ﷺ: إذا جاءك المؤمنون، فحَيِّهم، ورحِّب بهم، ولَقِّهم منك تحيّةً وسلامًا، وبشِّرْهم بما يُنشِّطُ عزائمَهم وهممَهم من رحمة الله، وسَعة جودِه وإحسانِه، وحُثَّهم على التّوبة منَ المعاصي؛ لينالوا مغفرةَ ربّهم وجودَه، فلا بدّ من إصلاح العمل بعد ترك الذّنوب، فإذا وُجد ذلك كلُّه ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4]، والجمهورُ على أنّها نزلت في الّذين نهى الله تعالى عن طردِهم[5]، والأقربُ أن تُحملَ هذه الآيةُ على عمومِها، فكلُّ مَن آمن بالله تعالى دخل تحت هذا التّشريف[6].

مـن صُـور التّشريفِ شُمولُ اللهِ مَن تابَ مِنَ المعاصي بواسعِ رحمتِه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الوَصلِ في الآية:

قولُه جلّ شأنُه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾، وهو ارتقاءٌ في إكرام الّذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ، فهمُ المرادُ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[7]، وهذا العطفُ يشير إلى قصدِ إفشال سعْيِ المشركين لإهانة ضعفاءِ المسلمين، ومقابلتِه

مَـن يـديـمُ ذكـرَ الـلـه غـداةً وعشيّةً يستحقُّ الإكرامَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جهل)، والجوهريّ، الصّحاح: (جهل).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (جهل)، والرّاغب، المفردات: (جهل).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/259.
(4) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 258
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/526 - 527، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 6/435.
(6) زاده، حاشية على البيضاويّ: 4/53.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/256، والشّوكانّي، فتح القدير: 2/137.

بإكرامهم، والحفاوةِ بهم؛ إذ لم يكتفِ بالنّهي عن طردهم، بل زاد عليه الأمرَ بإكرامهم.

فائدةُ التّعبيرِ بـ﴿وَإِذَا﴾:

قولُه جلّ شأنُه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا﴾ دالّةٌ على الظّرفيّةِ الزّمانيّةِ؛ أي: قلْ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ وقتَ مجيئهم، وأوقِعْ هذا القولَ كلَّه في وقت مجيئهم إليك[1]؛ لإشعارهم بالأُنس والتّرحيب وحسنِ الاستقبال لإزالة الوحشةِ، فيكونُ ذلك كلُّه في وقت مجيئِهم وإقبالِهم على رسول الله ﷺ ليكونَ أوقعَ في الدّلالة على التّرحيب، والأصلُ في: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ أن تُقال ممّن يجيءُ لرسول الله ﷺ، فأُمر أن يقولَها هو عند مجيئِهم على سبيل مبادرتِهم بالتّحيّة منه؛ ليكونَ أبلغَ في التّرحيب بهم، والإشعارِ بالمحبّة والمودّة الّتي تليقُ بالمؤمنين الشّاكرين.

مِن أماراتِ التّشريفِ إظهارُ الأُنسِ بالمؤمنين، وحُسنِ التّرحيبِ

فائدةُ التّعريفِ بالاسمِ الموصولِ:

قولُه جلّ شأنُه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ المرادُ بـ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ مَن نُهي عن طردهم[2]، عبّرَ عنهم بالاسم الدّالِّ على العموم من باب العامّ أُريدَ به الخاصُّ[3]؛ زيادةً في إكرامهم، فوصفَهم بالإيمان بما أنزل الله واتّباعِ هداه بعد ما وصفَهم بالمواظبة على العبادة، والشّكرِ[4]. والتّعريفُ بالاسم الموصول للتّنبيه بصلتِه على الصّفة الّتي نالوا بها التّكريمَ والتّشريفَ تعميمًا للحُكم ليشملَ غيرَهم، وعبّر عنهم بالموصول دون الوصف، فلم يقل: (وإذا جاءك المؤمنون)؛ لأنّه أراد المذكورين آنفًا، وهم مَن نُهي عن طردِهم[5].

التّنبيهُ بالصّلةِ على عِلّةِ التّكريمِ، تَشوُّفًا إلى تعميمِ الحُكمِ ليشملَ غيرَهم

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 4/648.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140، وابن جُزَيّ، التّسهيل: 1/262.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/526.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/164.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140.

سرُّ تقديمِ ذكرِ العبادة على الإيمان:

قولُه جلّ شأنُه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ ذكرَ وصْفَهم بالإيمان بعد وصْفِهم بالعبادة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ فقدّمَ الوصفَ بالعبادة، وأخّر الوصفَ بالإيمان مع أنّه مَنشأُ صفةِ العبادة؛ لأنّ "مدار الوعد بالرّحمة هو الإيمانُ، كما أنّ مَناطَ النّهي عنِ الطّرد فيما سبق هو المداومةُ على العبادة"[1].

قدّمَ ذكرَ العبادةِ على الإيمان؛ لأنّها علّةٌ للنّهي عنِ الطّردِ المذكورِ أوّلًا

وقد وصفَهم بالإيمان بآيات اللّه ﷻ بعد وصْفِهم بالمداومة على عبادته تعالى[2]؛ تنبيهًا ومدحًا لهم بأنّهم جامعون لفضيلتَي العلمِ والعملِ[3].

دلالةُ الباءِ على السّببيّة:

قولُه جلّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ عبّر بالباء السّببيّة؛ لبيان أنّهم إنّما آمنوا به بسبب نزولِ الآيات، والنّظرِ فيها، والتّفكّرِ فيها[4]، وهي الآياتُ الّتي يسمعُها الجميعُ، فليس هناك سببٌ اختصّهم اللّه تعالى به دون غيرهم، إقامةً للحُجّة على النّاس.

الآياتُ هي سببُ إيمانِ المؤمنين، وعلّةُ إقامةِ الحُجّةِ على الكافرين

توجيهُ إضافةِ الآيات إلى ضمير المُتكلّمِ المُعظِّم نفسَه:

قولُه جلّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أضاف الآياتِ إلى ضمير الجمع المعبِّر عنِ التّعظيم؛ إشارةً إلى أنّهم آمنوا بالآيات الّتي هي جديرةٌ بالإيمان بها؛ لِما لها منَ العظمة بانتسابها إلى اللّه تعالى[5]، فاللّه تعالى هو الّذي أنزلها، وهو الّذي يعلم أنّها في غاية الكمال لإحداث الإيمان لَمن آثرَ الهدايةَ.

فخّمَ الخطابُ الآياتِ؛ لبيان جدارتِها لأن تكونَ سببًا في الإيمان

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140، والآلوسّي، روح المعاني: 4/154، والجمل، الفتوحات الإلهيّة: 2/358.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/164، والآلوسّي، روح المعاني: 4/154.
(4) الآلوسّي، روح المعاني: 4/154.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/130.

فائدةُ الأمر بالبدءِ بالسّلام:

بـدءُ السّـلامِ تشـريـفٌ، وتبشيرٌ، وإكرامٌ

قولُه جلّ شأنُه: ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أُمر ﷺ بابتداء السّلام عليهم؛ تشريفًا، وإكرامًا لهم، وتطييبًا لقلوبهم، وتبشيرًا بحصول الكرامة لهم في الدّارين[1].

وفيه تبليغٌ عنِ اللّه تعالى، كما تقولُ لصاحبك: إذا رأيت فلانًا فبلِّغه سلامي؛ والمعنى: أنّ اللّه يسلّمُ عليكم، وفيه تشريفٌ لهم، وتعظيمٌ، وتكرمةٌ لهم لمضادّة طلب المشركين طرْدَهم[2].

إيثارُ الرّفعِ في لفظِ السَّلامِ:

القَصدُ إلى التّبشيرِ بثباتِ الإيمانِ على الدّوامِ بإيثارِ الرّفعِ في لفظِ السَّلامِ

وآثرَ الرّفع على النّصب، فلم يقل: (قل: سلامًا عليكم)؛ لأنّ الرّفعَ يدلّ على أنّه جُملة اسميّةٌ، بخلاف النّصب فهو جملةٌ فعليّةٌ؛ أي: أُسلِّم سلامًا، فالتّعبيرُ بالرّفع أبلغُ منَ التّعبير بالنّصب؛ لاقتضاء الاسمِ الثّبوتَ بخلاف الفعل[3]؛ أي: أنّهم في سلام دائم لا ينقطعُ؛ وهذه بشارةٌ بثباتهم على إيمانهم بما أنزل اللّه ثباتًا يجعلُهم في سلام دائم.

فائدةُ التّنكيرِ في لفظِ (سلام):

أفادَ التّنكيرُ العمومَ والشّمولَ والتّعظيمَ

قولُه جلّ شأنُه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ عبّر بالنّكرة في التّحيّة ولم يقُل: (السّلام عليكم)؛ لأنّه لو قاله بصيغة التّعريف لدلّ على التّحيّة المعهودةِ بينهم، فنكّرها لتشملَ الدّلالةَ على التّحيّة، مع عمومِها منه ومنَ اللّه تعالى، ولتشملَ سلامًا من جميع مصائبِ الدّنيا، فالتّنكيرُ للعموم، والشّمولِ، والتّعظيم[4].

نُكتةُ الابتداءِ بالنّكرةِ:

المبادرةُ بتنكيرِ السَّلامِ في الابتداءِ لضَربٍ منَ الطُّمَأنينةِ والتَّفاؤُلِ

قدّمَ المبتدأ وهو نكرةٌ على الخبر، فلم يقُل: (عليكم سلامٌ)؛

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/29، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/527، والشّوكانّي، فتح القدير: 2/137.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/159، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/297، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/29، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/257، وزاده، حاشية على البيضاويّ: 4/53.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/159، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/297.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/130.

لعناية القادم بإدخال الطّمأنينة في نفس المقدوم عليه، بأنّه طارقُ خيرٍ لا طارقَ شرّ، فهو منَ التّقديم لضربٍ منَ التّفاؤل[1].

سِرُّ تقييدِ السّلام بالعِلّيّةِ:

عِلّيّة السّلام إيحاءٌ بالأمان

ويدلّ الاستعلاءُ في التّحيّة بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على تمكّن السّلام والأمان منَ السّامع، بتنزُّلِه من علٍ، رحماتٍ، وأفياءَ طمأنةٍ، وغيثَ سكينةٍ؛ نفيًا لأسباب الخوف.

إيثارُ الفصْلِ على الوصل:

من عطايا المنّان تعاقُبُ المُبشّراتِ لقصدِ التّكثيرِ

قولُه جلّ شأنُه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ آثَرَ الفصلَ على الوصل في الجملة، ولم يَعطِفْ على جملة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ مع أنّه محكيٌّ بالقول أيضًا؛ إشارةً إلى استقلال مضمون الجُملتين بالبِشارة، فيبشّرُهم بالسّلامة منَ المكاره، ويُبشّرُهم بشارةً أخرى بسَعة رحمتِه تعالى ومغفرتِه[2]، ويحتملُ أن يكون تركَ العطفَ؛ لأنّ الجملة الثّانية استئنافٌ بيانيٌّ، وذلك على المعنى الثّاني لـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وهو سلامُ الله عليهم، ممّا يُثير في النّفس استشرافًا لمعرفة كُنْه ذلك السّلامِ وحقيقتِه، فأسعفتِ الجملةُ التّالية بالجواب المبين عن ذلك السّلام، وأنّه رحمةٌ منَ الله مؤكّدةٌ.

نُكتةُ إيجابِ الرّحمةِ:

إيجابُ الرَّحْمَةِ على معهودِ خطابِ الأُميّين

قولُه جلَّ شأنُه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أخبرَ تعالى أنّه أوجبَ الرّحمة إيجابًا مؤكَّدًا، واللّه تعالى لا يجبُ عليه شيءٌ، ولكنّه خاطب الخلقَ بما يعقلون، وهم يعقلون أنّ توكيد الشّيء إنّما يُحفظُ بالكتاب[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/257.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/155، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/507.
(3) الواحديّ، البسيط: 8/176، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 6/435، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2517.

لا واسطةَ بين اللهِ وعبادِه؛ وإيجابُ الرّحمة تفضّلٌ منه وإحسانٌ

توجيهُ تعلُّقِ إيجابِ الرّحمةِ على نفسِه:

وتعلّقُ إيجابِ الرّحمة بشِبْه الجملة: ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾؛ لبيان أنّه أوجبها على ذاته المقدّسة تفضّلًا وإحسانًا منه لا بتوسّط شيءٍ خارجيّ، إيجابًا لإكرامه، ولا يستحقُّ بتركه الذّمَّ[1].

رحمةُ اللهِ سُنّةٌ مِن سُننه يتصرّفُ بها كيف يشاءُ

أُمر أن يقول لهم ذلك تبشيرًا لهم بسَعةِ رحمة اللّه تعالى، وتفريحًا لقلوبهم[2]، ولبيان أنّ رحمة اللّه لا تتعلّقُ بفعل أحدٍ، وأنّه تعالى جعلَها كسُنّةٍ مِن سننه الّتي لا تتبدّل تطمينًا لهم ورحمةً بهم، أمّا علّةُ الإيجاب المفهومِ من لفظ الكتابة فلِبيان أنّه أكرمُ الأكرمين، وأرحمُ الرّاحمين، وأنّه يتصرَّف في عباده كيف يشاء.

علّةُ إسنادِ الكتابةِ للرّبِّ سُبحانه:

مِن بشاراتِه تلطّفًا بعبادِه إعمامُ الرّحمةِ

وقد أسندَ الكتابةَ إلى لفظ الرّبوبيّة إشارةً إلى أنّ مَن أوجبَها هو النّاظرُ لكم في مصالحِكم، والّذي يُربّيكم ويحفُّكم برحمته، وهذا تبشيرٌ بعموم الرّحمة، وإشعارٌ بعلّة الحكم[3]؛ وأضاف لفظَ الرّبوبيّة إلى ضميرِهم لإظهار اللُّطفِ بهم[4].

دلالةُ القراءةِ في (إنّه) و(أنّه):

قراءةُ الكسرِ استئنافٌ لتفسيرِ الرّحمةِ، وقراءةُ الفتحِ على الإبدالِ

قولُه جلّ شأنُه: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَٰلَةٍ﴾ قرأ ابنُ عامر وعاصمٌ ويعقوبُ بفتح الهمزة فيهما؛ وافقَهم المدنيان في الأولى، وقرأ الباقون بالكسر فيهما[5]، وتوجيهُ الكسر أنّه استئنافٌ لتفسير الرّحمة[6]، فهو استئنافٌ بيانيٌّ لجواب سؤالٍ متوقَّعٍ عن كيّفيّة الرّحمة، فأجيب بأنّه بمغفرة ذنوبهم[7].

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 4/155.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/528.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/528.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140، والآلوسّي، روح المعاني: 4/155.
(5) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/258.
(6) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/164، وزاده، حاشية على البيضاويّ: 4/54، وابن جُزَيّ، التّسهيل: 1/263.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/258.

وتوجيهُ فتح الهمزة على أنّه بدلُ اشتمالٍ منَ الرّحمة[1]؛ لأنّ الرّحمة العامّةَ تشتمل على غفرانِ ذنْبِ مَن عملَ ذنبًا ثمّ تابَ وأصلح، فأبدل المغفرةَ منَ الرّحمة، ولأنّ البدلَ يأخذ حكمَ المبْدَل منه فدلّ هذا على أنّه سبحانه أوجبَ على نفسه المغفرةَ تكرّمًا منه، وعطفًا على عباده المؤمنين.

العُدولُ عنِ الحالِ الصّفةِ إلى الحال شبْهِ الجُملةِ:

قولُه جلّ شأنُه: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَٰلَةٍ﴾ الجارّ والمجرور ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ أفاد بيان الحال؛ أي: وهو جاهل[2]، وآثر التّعبير عن حالة الجهل بالجارّ والمجرور، لم يقل (جاهلًا)؛ لما في الباء من معنى الإلصاق؛ لبيان أنّه ملتصقٌ بالجهل؛ أي: عملَ الذّنبَ ملتبسًا بجهالة[3]، وهذا أوقعُ في التماس العذر، واستحقاقِ المغفرة والرّحمةِ.

الـقـصـدُ إلى التماسِ الأعذارِ بإلصاقِ المجرور بالجارّ

إيثارُ التّنكيرِ في (جهالة)، وفائدةُ التّقييدِ بها:

آثرَ التّعبيرَ بصيغة التّنكير في قوله: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ لجَعلِها مطلقةً غيرَ مقيَّدة؛ للمبالغة، فسواءً أكانت جهالةً ضئيلةً أم كبيرةً فإنّها مُعتبرةٌ في مغفرة الذّنوب[4]. وقيّدَ ارتكابَ السّوء بالجهل؛ "للإيذان بأنّ المؤمنَ لا يباشرُ ما يعلمُ أنّه يؤدّي إلى الضّرر"[5]؛ لأنّ المؤمن لا يأتي السّيّئاتِ إلّا عن غلبَةِ هواهُ رشدَه[6]، ولا يفعلُ الذّنْبَ عامدًا.

مِن صُورِ تشريفِ المؤمنِ، تنزيهُهُ بمطلقِ الجهالةِ عـن قـصـديّـةِ الذّنْبِ

إيثارُ عطْفِ التّوبةِ بـ﴿ثُمَّ﴾:

قولُه جلّ شأنُه: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ آثرَ التّعبيرَ بحرف العطف

مِـن رحـمـة الله تـعـالى قَـبـولُ الـتّـوبـةِ، وإن تأخّرتْ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل، 2/164، وابن جُزَيّ، التّسهيل: 1/263، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/258.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/29، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/528.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/141، وزاده، حاشية على البيضاويّ: 4/54، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/259.

(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/107.

(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140 - 141، والجمل، الفتوحات الإلهيّة: 2/360، والقنّوجيّ، فتح البيان: 4/151.

(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/259.

المُشعرِ بالتّراخي، وطولِ الفاصل بين المتعاطفَين؛ للدّلالة على الرّجوع بالنّدم والإقلاعِ، وإن طال الزّمان[1]، وهذا أدلُّ على سَعة الرّحمة بقَبول التّوبة، فهو لا يقتضي المسارعةَ بالتّوبة.

علّةُ عطْفِ الإصلاحِ على التّوبةِ:

دَيمومةُ الإصلاحِ بالتّوبة شرطُ قَبولها

وعطفَ الإصلاحَ على التّوبة للدّلالة على أنّ استدامةَ الإصلاح في الشّيء الّذي تاب منه شرطٌ لقَبول التّوبة[2]، واشتراطُ الإصلاح بعد ذكر التّوبة في سياق الرّحمة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، يدلُّ على تعظيم شرطِ الإصلاح.

سِرُّ التّعبير بصِيغةِ المبالغةِ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

رحمةُ اللهِ لا يَحدُّها حدٌّ، ومغفرتُه لا يستغرقُها عدٌّ

قولُه جلّ شأنُه: ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عبّر بصيغة المبالغة ﴿غَفُورٌ﴾، للدّلالة على أنّه بالغٌ السَّتر والمحْو لذنوب عبادِه[3]، وفيه إشارةٌ إلى أنّ الذّنوبَ والسّيّئاتِ، وإن عظُمت، فإنّ مغفرة الله أعظمُ ورحمتَه أوسعُ من تلك الذّنوب، وذلك عند حصول شروطِ استحقاقِ تلك المغفرة العظيمةِ والرّحمة الواسعةِ، وهي أن يكون قد دخل في زُمرة المؤمنين كما يدلُّ قولُه: ﴿مِنكُمْ﴾، وأن يكون الذّنبُ ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾، وأن يتوب، ويؤكّدَ على صدق التّوبة بالعمل الصّالح: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾.

❁ الفروقُ اللّغويّةُ:

(السّلام) و(التّحيّة):

التّحيّة أعمُّ منَ السّلام؛ فيدخل فيها: حيّاك الله، ولكَ البشرى، ولقيتَ الخيرَ، ولا يُقال لذلك سلامٌ، إنّما السّلامُ قولُك:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/131.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/528.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/131.

سلامٌ عليك[1]، والتّحيّةُ: (حيّاك اللّهُ) مشتقّةٌ منَ الحياة. وقولُ المصلّي في التَّشَهُّد: التّحيّاتُ للّه، معناه: البقاءُ للّه[2]، فالتّحيّة (حيّاك اللّه) هي دعاء، بمعنى: أبقاك اللّهُ، وعَمَّرك اللّهُ[3].

وأمّا التّحيّة بـ (السّلام عليكم) فمعناها: أمّنكم منَ العذاب، والعاهةِ، والأذَى[4].

فقولُه جلّ شأنُه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ آثرَ لفظَ السّلام؛ لأنّه أراد السّلامةَ والتّأمينَ لهم؛ فلمّا طلب الكافرون إبعادَهم منَ المجلس أمّنهم اللّه تعالى بخُذلان مسعَى الكافرين، فكان اختيارُ لفظ السّلامة أدقَّ.

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 59.
(2) الخليل، العين: (حيو).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حيا).
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/297، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/527، والجوهريّ، الصّحاح: (سلم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»